ذكره السيد محمد مرتضى فى شرحه على الاحياء . قال : العلامة على بن احمد الغزالى مؤلف كتاب ميزان الاستقامة لاهل القرب والكرامة : توفى سنة ٧٣١ هـ (ـ ١٣٣٠ م) وقال الملا كاتب جلبى فى كشف الظنون : « ميزان الاستقامة لاهل القرب والكرامة لعلى بن محمد الغزالى المتوفى سنه ٧٣١ وهو غير الغزالى المشهور اه .

وفى هذا السفر الجليل شئ كثير من الامور التاريخية غير معروفة وغير مذكورة فى الكتب كبعض امور رواها عن البرامكة ونحوهم ممن كان فى عهد المؤلف او قبله بقليل وفيه ايضا اخبار تدل على حكمة واصالة رأى تفيد القارئ وسوف نأتى على نتف منها ان سنحت الفرصة ونحن نروى هنا حكاية تتعلق بانوشروان لتكون انموذجا مما يحوى الكتاب .

﴿ حكاية انوشروان والصبية الحكيمة ﴾

يقال : ان انو شروان الملك العادل مضى يوما الى الصيد ، فرأى ضيعة فى القرب منه ، وكان قد عطش . فقصد الضيعة واتى باب دار قوم ، وطلب ماء ليشرب ، فخرجت صبية فاعصرته . ثم عادت الى البيت . فدقت قصبة واحدة من قصب السكر ، ومزجت ماعصرته بشئ من الماء ، ووضعته بالقدح وسلمته الى انوشروان . فنظر فى القدح فرأى فيه تراباً وقذى . فشرب منه قليلاً قليلاً حتى انتهى الى اخره . وقال للصبية :

نعم الماء لولا قذى كدره .

فقالت : انا عمداً القيت به القذى .

فقال : ولم فعلت ذلك ؟

قالت : رأيتك شديد العطش . فلو لم يكن فى الماء قذى كنت شربته عجلاً فى نوبة واحدة ، وكان يضرك شربه .

فعجب انوشروان من كلامها . وعلم انها قالته عن ذكاء وفطنة . ثم قال لها :

من كم قصبة دققت ذلك الماء ؟

فقالت : من قصبة واحدة .

فتعجب انوشروان واضمر فى نفسه انه اذا عاد أمر بزاد عليهم فى الخراج . ثم عاد الى تلك الناحية بعد وقت ، واجتاز على ذلك الباب منفرداً ، وطلب ماء . فخرجت تلك الصبية بعينها فرأته ، فعرفته ، ثم عادت لتخرج الماء ، فابطأت عليه . فاستعجلها انوشروان . وقال :

لاى سبب ابطأت ؟

قالت : لانه لم يخرج من قصبة واحدة حاجتك ، وقد دققت ثلاث قصبات . ولم يخرج منها بقدر ما كان يخرج من واحدة .

فقال انوشروان : ماسبب هذا العجز ؟

فقالت الصبية : سببه تغير نية السلطان . فقد سمعنا : انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم . وقلت خيراتهم .

فضحك انوشروان وعجب من قولها وازال من نفسه ما كان قد اضمره لهم . وتزوج الصبية لتعجبه من ذكائها وحسن كلامها .